يعبثون بما في مخزن الطبيعة من تحف غالية كما يعبث الولد بكتاب نفيس. فيقتلون جميل الطير والحيوان لا لأنّهم جياع بل لمجرد التسلية أو «الترويح عن النفس». ويتلفون بديع النبات لا لأنّهم في حاجة إلى حطب أو خشب بل لأنّه يلذّ لهم أن يعبثوا بالجمال وأقداسه كما تعبث الخنازير بحديقة من الأزهار سواء بسواء.

لكم رأيت بعيني صغاراً وكباراً يمرّون بشجيرة مغروسة على جانب الطريق فيقصفونها ويطرحونها أرضاً ويمضون في سبيلهم غير مبالين بنضارتها وجمالها ولا بأنها ـ لو هم أبقوا على حياتها ـ ستصبح يوماً من الأيّام متعة لأبصارهم وأبصار غيرهم من الناس ومظلّة يتظلّلها المتعبون من عابري السبيل. ولكم شاهدت رجالاً من ذوي العلم والمكانة يترصّدون عصفوراً يغرد على فنن كما يترصّد الهرّ الفأرةَ، فلا يتورّعون عن إردائه بخردقة من بندقية. وقد يُجرح ذلك العصفور ولا يُقتل فيحاول النجاة بما تبقّى فيه من حياة. ولكن الصياد يركض في إثره ويتعقبه من ملجإٍ إلى ملجإٍ حتى إذا ظفر به استلّ سكينه وذبحه من الوريد إلى الوريد وقد شاع في وجهه البِشر وأبرقت عيناه بريق النصر والاعتزاز بالقوّة!.. وقد يكون العصفور الذبيح أباً أو أمًّا لفراخٍ ما تزال في العشّ زغب الحواصل. فلا ينغص ذلك